مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 04 السنة 2021 ص 415 - 429

تاريخ الإرسال: 2021/09/26 تاريخ القبول: 2021/06/01
تاريخ النشر: 2021/10/11

شعرية الأدب النسوي بين الذات الساردة وتنوع صورة الآخر – قراءة في حديث أم زرع-

Poetics of feminist literature between the narrative self and the diversity of the image of the other – reading in hadith oum zaraa-

شناوي علي[1]
جامعة ابن خلدون (تيارت)، ali.chanaoui@univ-tiaret.dz [1]

الملخص:

يجلي هذا البحث الاشتغال الإبداعي النسوي من خلال التعاضد بين الذات الساردة وتنوع صورة الآخر في تشكيل المشهد وعرضه حكيا؛ ومن ثمّ فلا مناص أنّ المتقصّي لحيثيات الشّعرية يلمسُ زخمًا من السّمات التي تسمح له بملامسة أفقٍ رحبٍ تعجّ فيه جماليات الإبداع الفنّي، هذا الأفق لم يكن الإبداع النسوي بمنأى عنه.

ومن ثمة، يسعى هذا البحث إلى استكناه شعرية الخطاب النّسوي المجسّدة بشخوص سردية تخلقت في متن حديث " أم زرع"، بما يطرحه من قضايا لصيقة بالواقع الاجتماعي. وتأسيسًا على ذلك وقفت على شعرية القول الأنثوي وما تصطنعه من وسائل إقناعية قائمة على مبدأ التواصل الإبلاغي، وفضلا عن ذلك تبيّنتُ ارتباط الحوار بالإسناد، وما يحمله الخطاب النسوي من مضمر من خلال معاينة الصور التي رسمت للأزواج.

الكلمات المفتاحية: الشعرية، النسوية، السرد، الذات، الآخر، الخطاب، المضمر.

Abstract:

This research demonstrates women's creative work through the synergy between the narrating self and the diversity of the image of the other in shaping the scene and presenting it narratively, Hence, it is inevitable that the one who searches for poetic facts touches a momentum of the features that allow him to touch a broad horizon in which the aesthetics of artistic creativity abounds, this horizon that feminist creativity was not immune to.

From there, this research seeks to taste the poetry of the feminist discourse shown by narrative characters created in the body of the discourse of "OUm Zaraa", with what it raises of issues related to social reality, based on that, it stood on the poetics of the female saying and the persuasive means it creates, in addition, and what the feminist discourse carries from its connotations through a preview of the pictures that were drawn for husbands.

Keywords: Poetry, Feminism, Narrative, Self, The other, Discourse, Implicit

المؤلف المرسل: الاسم الكامل، الإيميل: ALI.CHANAOUI@UNIV-TIARET.DZ

1.مقدمة:

يحفل السرد النسوي بجملة من التجليات الجمالية، سواء تعلق الأمر بسماتها الشكلية أو بخصائصها المضمونية التي تعزز تكثيف السمات الفنية داخل هذا الخطاب، الذي يتضمن شعرية للذات الساردة وتمظهرات الآخر من خلال بنية الخبر السردية؛ إذْ تتناوب فيه صيغ التعبير ووسائله التصويرية والتخييلية والحجاجية الإقناعية، لكنّه تناوب في غاية الإحكام. والتنوّع يطفو من بين جوانبه الملمح السردي الذي يميز فنية السرد النسوي، ممّا يمكننا من تلقي هذا الخطاب بصورته

المتنوعة، الجديدة، التي تجلّي دينامية التواشج بشخوص سردية تخلقت في متن حديث " أم زرع"

لهذا، من المهم في هذا المضمار أن نأخذ بعين الاعتبار الفروقات الداخلية في نص الحديث، والتي تفصله عن غيره من النصوص، وتؤهله أن يكون مرشحًا في الوقت نفسه للقيام بدور تفاعلي، فضلا عن النوافذ الروحية وما تستنطقه من معنى.

وعلى هذا الأساس، شكل حضور الجانب القصصي ورواية الأحداث، وإدارة الحوار على ألسنة الشخصيات المتفاعلة في متن الحديث، مددا له من حيث بلورة مكونات النص وتشييد المتخيّل، وفي خضم هذا الطرح تراءت لنا طرح الإشكالات الآتية:

إلى أي مدى تماهت الذات الساردة في رصد تمظهرات الآخر؟ ما المواصفات التي تنضوي لاستكناه شعرية الابداع النسوي؟ ما مدى فاعلية الخطاب النسوي وما يحمله من مضمر للصور التي رسمت للأزواج؟

نحاول الإجابة على هذه الإشكالات في ثنايا هذا المقال، ومن أهداف البحث التي يمكن تحديدها على سبيل الإيجاز لا الحصر فهي كالآتي:

أ–الوقوف على شعرية القول الأنثوي وما يحمله من قضايا اجتماعية تتبلور في تشكيل العملية الابداعية .

ب– تبيين الهوية بين محور الذات الساردة /الزوجة/المرأة، وتنوع وجهات النظر حول موضوع واحد محوره الآخر/ الزوج/ الرجل.

ج– تتبع بنية الخبر السردية وارتباط الحوار بالإسناد.

أما المنهجية التي اتبعتها في إنجاز هذا المقال تركزت حول نقاط هامة:

أولا: سجلت مُلخصا لأهم المحطات التي وقف عليها المقال، ومقدمة تضمنت توطئة مناسبة للموضوع وأهم التساؤلات التي قد تتبادر للقارئ، مُسجلا في الوقت ذاته أهداف البحث بإيجاز.

ثانيا: تطرقت إلى تجليات الإبداع الأدبي في الخطاب النسوي، ثم الحوارية والوصف من خلال تتبع بنية الخبر السردية، وأخيرا الوقوف عند النسق المضمر وتنوع صورة الآخر في متن الحديث مُذيلا ذلك بخاتمة تتناول أبرز النتائج المتوصل إليها.

2. تجليات الإبداع الأدبي في الخطاب النسوي

1.2 الخطاب النسوي ومنابع اللّغة الشعرية:

يكتسب الخطاب النسويّ شعريّته من خلال خصوصيته، التي تتمظهر غالبا انطلاقا من الرؤية واللغة والمضمون. وحين نعاين في هذا الإطار "**حديث أم زرع**" [1]، نلفيه يتوفر على العديد من هذه السمات؛ التي تسمح للمتلقي من الاقتراب من حضور المرأة في نص الحديث جماليا. وفي رحاب ذلك لم يكن الخطاب النسوي على وجه الخصوص بمنأى عن هذه الجماليات التي حفل بها النّص، باعتباره أرضا بكرا؛ فظلّ بمقتضى ذلك ينفلت من قبضة أفق القارئ، وبقي فضلا عن ذلك نصا أشبه بالمكعب الذي لا يمكن رؤية كلّ أوجهه في الوقت ذاته، وكلّما نظرنا إليه من زاوية أغفلنا زوايا أخرى، على أنّنا لا ننسى تفعيل طاقة التأويل وما تتيحه من استكناه لشفرات ومضمرات النّص. "هذا يعني إذن تبئير الاهتمام لا على النص من حيث موقعه في سلسلة تاريخية أو من حيث حمولته الفكرية أو من حيث ماديته الشكلية أو اللّغوية، ولكن من جهة تلقيات القراء المتعاقبة لهذا النّص."[2] بل تزداد فاعليته حين يكون حديثا متعدّد الأصوات.

وبالتساوق مع ذلك، تحوّل **الإبداع الأدبي النسائي** إلى ظاهرة أدبية ما فتئت تجذب إليها اهتمام القراء والنقاد بالأساس، لما تمتلكه من إشكالية جدلية في الأوساط الثقافية والأدبية العربية، على الرغم من الاختلاف القائم بين المصطلح **نسائي/**

نسوي، فإنّ هذا التصور لا يأخذ مشروعيته النقدية إلا إذا كان ما تكتبه المرأة يعبر عن قضاياها الحميمة. ومن ثم يصبح "الإبداع النسائي لونًا من الكتابة الخاصة، فلربما قصد به شيء من البوح والمكاشفة...الذي يصف الشيء من خارجه، وهنا يكون هذا من مسماه،"[3] فتغيب تماما الذات المبدعة.

ورغم أنّنا نقرّ بأهمية الواقع الاجتماعي كأحد العناصر الفاعلة في تشكيل العملية الابداعية، إلا أنّ هذا لا يعني ربط الأدب النسوي بالوضع الاجتماعي وإغفال جوانب أخرى مهمّة تتصل بتميز المرأة وأوضاعها في المجتمعات العربية والاسلامية. " ومن هنا أيضا كان حرصنا على وسْم الإنتاج الإبداعي الأنثوي بالخطاب، لأنّ الخطاب في بعض استعمالاته الاصطلاحية الحديثة صار يقوم مقام (الكلام) من اللّغة." [4] إذ إنّه ليس يفلح أمام هذا التداخل، أنْ يكون فحص سر العملية الابداعية بمعزل عن اشتغال هذا الخطاب.

وفي هذا الصّدد نلفي فروقا بين أصناف الكلام في العملية الابداعية ذاتها، ليشكل موقفا عاما، يأسر النفس ويخالطها ممزجا عناصره المادية والمعنوية بعناصر الذات الكاتبة، ليتحوّل عبرها ومن خلالها إلى موقف فنّي يجسد جماليا رؤاها. "على أنّ ثمة فرقا بين الكلام الخطابي (المقامي)، والكلام المقاليّ أو النّصي، باعتبار أنّ الأوّل يتكلم مقام التكلم، ويتكلمه مقامُ التكلم، والمقام، في الغالب، اجتماعي. أما الكلام المقاليّ أو النصي، فيتكلم المواقف الكليّة أو الكيانية للقائلين، بوصفها مزيجا مركبا من (دخائل) المتكلمين وخارجهم، من عالمهم الفردي الخاص، ومن عالمهم (الاجتماعي) العام،" [5] يرتفع عن الدفق الجاري للحياة، فتتولاّه الذائقة بالتصفية والتهذيب حتى يجري في التعبير على مقادير يتوسّع لها الصنيع الفني.

لا غرو أنّ العمل الإبداعي يحمل في طياته مظاهر فنّية، لذا تعتبر المسألة الجمالية في العمل الأدبي مسألة الرؤيا الفنية، المجسّدة بأسلوب إيحائي. وضمن هذا

الأفق يرفض سعيد يقطين مصطلح الأدب النسوي من خلال رفضه للتصنيفات الأخرى التي تطالعنا بها الساحة الأدبية من حين لآخر؛ حيث إنّه ينحاز من جهة إلى مصطلح "الأدب النسائي"[6] بدلا عن صفة "النسويّة"، ويحتكم من جهة ثانية إلى القيم "الفنية والجمالية للنّص الأدبي...سواء كان الكاتب رجلا أو امرأة."[7] ومن ثم فإنّ التصنيفات التي ترتهن إلى ثنائية أدب ذكوري وأدب أنثوي لا تخدم الأدب، لأنّ " كل تاريخنا الحديث يركّز بالدرجة الأولى والأخيرة على محتوى الإبداع وعلى منتجه، ومن هو. أمّا الجوهري في الإبداع الفني والأدبي، هو طابعه الجمالي، فإنّنا لم نعره كبير اهتمام، لذلك لم ينضج النقاش الجمالي في فكرنا الأدبي والفن أيضا لم يتطور... وعند تحديد الخصوصيات الفنية والجمالية لدى كتابنا." [8] ومن هنا نخلص إلى أنّ هذه الاعتبارات لا تساهم في تقييم العملية الإبداعية بعامة، ولا تظهر شعرية النّص بخاصة.

لقد عرف الخطاب النسوي حضورا لافتا على مرّ العصور في الأدب العربي، فأبدعت المرأة العربية نصوصا راقية تنطق بالبيان والفصاحة، وتؤكد باعها الطويل في إرسال الكلمة، وتحبير النصوص في مختلف الأغراض، ممّا يثبت فاعليتها في المجتمع قبل الإسلام وبعده.

فالخطاب النسوي سدّ حاجة العرب، وغدا وشاحاً مرصّعا تزين به العمل الإبداعي وزادته نظارة مشاركة المرأة وطرقها للفنون الشائعة في العصر، ممّا يدل بوضوح على المنزلة الاجتماعية التي بلغتها المرأة في فترة ما قبل الإسلام، على أنّ **حديث أم زرع** كان عنوانا وسم به النص، إذ احتل حديثها كتلة سردية واسعة، وهو ما يشير إلى أن مضمون الرسالة في حديثها، وما أقوال النساء الأخر قبلها، والمجلس الذي عقدت فيه العقود والعهود إلا مقدّمات وتمهيدات شكّلت مدخلا نلج به إلى النص.

وفي هذا الإطار، نستشف أنّ هذا الخطاب النسوي المجسد في النص الشريف لما يحتويه من جمالية لغوية طريفة وموجزة، على الرغم ممّا قيل عن النص من مخالفات منها إفضاء المرأة بسر العلاقة الزوجية، والإفصاح عن معايب الزوج وغيبته، لكن النص لم يتعرض للإقصاء، بل ظل يزخر بمكانة سامية في الفكر الإسلامي ضمن الشروح والتفاسير التي عنيت بدراسته باعتبار أنّ النص الشريف عبارة عن رسالة مضمنة في خطاب، فكان النص خطابا داخل خطاب ، فتحقّقت جمالية مراوغة ومخاتلة اللّغة، فتنتفض الكلمات من مواضعها وتتزين بتلاوين الرمز بغية خلق عالم يتماوج وراء اللامعلن، فتأتي قوته الشعرية في أنسجة لغوية، " تتسم بالقصد والتركيز والتكثيف، بحيث يتم تشغيل عناصرها غيابا وحضورا بفعالية كبيرة. هذا الاقتصاد جوهري ... لأنّه مظهر الشعرية فيها." [9] كما تسهم في حمل رسالة لا تعدم صلتها بمتن النّص، الذي تضمن خطابا نسويّا متعدد الخطابات.

2.2 فتنة السرد النسوي وأبعاد التلاعب بصيغ السرد

لقد فرضت المرأة حضورها في عوالم الإبداع السردي باستيفائها شروط البناء والجمال، ووطّنت جدارتها في هذا النطاق برصيده الفكري محدّدة مقتضيات الرؤيا الابداعية، متوسّلة لأجل ذلك تشكيلات معبرة بذاتها عن كثير من القضايا التي ترسم معالم السياقات المنتجة للنص الذي انفتق في كنفها. وإذا " كان قد تحقق لنا فهم التعبير في كونه الروح الساري بين العناصر يلونها بما استرفد من خصائص الذات المبدعة ثقافة، ومزاجا، وفهما، ووجهة، وخبرة بالحياة.. وأنّ الأسلبة تنصرف إلى إلباس التعبير ثوبه اللّغوي والكتابي عرضا وإخراجا، أيقنا أنّنا أمام عملية يقع معظمها في أغوار الذّات، وما يَبين منها، ليس إلا الجزء الطافي على السطح. وكأنّها جبل الجليد الذي تغيب ثمانية من أجزائه تحت الماء. فما يتراءى من ضخامته لا يعبّر حقيقة عن كتلته الحقيقية. كذلك الشأن في الأثر الفني الذي لا يعرض المنجزُ منه إلا شكلا منتهيا سبقته محاولات مضنية، لا يعرف عنها المتلقي شيئا، اللهم إلا تحسسها من خلال ما يجد من روعة الصنيع، وما تلتقطه ذائقته من آيات

الاستحسان،" [10] فيذهب المتلقي إزاء ذلك في كافة الاتجاهات سعيا وراء الاحتمالات التي يمكن أنْ يومئ إليها الدليل في إطار العمل الفني.

وفي هذا المساق، تولدت للبحث مقامات السؤال عن "الشعرية النسوية" ممثلة بشخوص سردية تخلّقت داخل أحد أكثر متون الأحاديث النبوية إجلاءً لها، " **حديث أم زرع**" باعتباره مرتكزا بحثيا بما يطرحه من مفاهيم وتجلّيات لصيقة بالواقع الاجتماعي، حديث يتفجّر من ألسنة النسوة اللاتي جلسن للحديث والسّمر. وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلّم عن حديث أبي زرع وأم زرع، فقال: " إنّ قرية من قرى اليمن كان بها بطن من بطون اليمن، وكان منهم إحدى عشرة امرأة، وإنهن خرجن إلى مجلس لهن، فقال بعضهن «27 » لبعض: تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب، قال: فبايعين على ذلك." [11]

إنّه حديث المكاشفة والصراحة والصدق، في كلام لا يشوبه ولا يعتريه كذب، إنّه بوح النّفس للنفس، جادت به قريحة نسوة فصيحات ملكن بلاغة البيان، بيان فصيح وإعلان صريح، إنّ مثل هذا الدفق لا يكون إلاّ في الشّعرية التي تعرف كيف تعالج متنفسه الجمالي، وما يؤكّد ذلك انشغال أئمة الحديث به في كتبهم بالشرح والتفسير، بل وبلغته التي لا يفوتها إدراك المقاصد والمرامي الكامنة في المسرود، إذ الحوار ليس منتهى العملية الابداعية ولا هو غايتها، بل المضمر الذي يتأسس عليه الخطاب أولا وأخيرا.

لا مناص أنّ اللغة التي يعجُّ بها الحديث من غرابة اللفظ، الأمر الذي دفع بطائفة من المفسرين، واللغويين، والنحويين، بل حتى من علماء الاجتماع – لما فيه من قيم تربوية للمجتمع تكفل للمرأة مكانها– للاهتمام به فضلا عما فيه من الفوائد الجمة، " وفيه من الفقه جواز الحديث عن الأمم الخالية، والأجيال البائدة، والقرون الماضية، وضرب الأمثال بهم، لأنّ في سيرهم اعتبارا للمعتبر، واستبصارا

للمستبصر، واستخراج الفائدة للباحث المستكثر." [12] إنها شعرية القول تنتهج الوسائل الإقناعية لإحداث تأثير معين على السامع أو القارئ، من زاوية أنّ نشاط الفرد اللغوي تحكمه غاية ومقصديّة محدّدة، فالمتكلّم ما تكلم إلاّ لغاية ما ومهما تكن هذه الغاية ومهما يكن هذا المقصد فإن النّواة الصلبة لهذه الغاية من الإنجاز اللغوي إنّما هو الحجاج، وإلا ما نجاعة الإنجاز اللغوي والإنتاج الكلامي؟

3. الحوارية والوصف ومنابع اللغة السردية

1.3 بنية الخبر السردية وارتباط الحوار بالإسناد:

لا مناص أنّ هذا الخطاب الذي نختبره كان اختياره إيمانا منّا بأنّ نجاعة المنوال الذي نقترح يمكننا من تطبيقه على أي نشاط لغوي إنجازي سواء أكان تلفظيا أم خطابيا أم محايثا. والحقيقة أنّ نجاعة أي منوال علمي إنّما تشهد على مصداقيتها مرونتها في الاختيار، وعلى صعيد آخر فإذا كان الأصل في الفعل الكلامي هو الحوار، والأصل في الحوار ذلك الاختلاف الذي يختلف باختلاف السياقات والمقامات؛ فإنّنا نقول إنّ هناك جهة تحقق نوعا من التلازم التعالقي بين فعل الكلام والحوار، وهي جهة القصد القائم على مبدأ التواصل الإبلاغي الذي يختلف باختلاف نوعية الخطابات، الشيء الذي جعل من العلاقات التخاطبية في الدراسات المعرفية والإنسانية يحدوها نوع من الاستلزامات الحوارية التي تعلي من شأن واقع الخطاب في تلازمه مع واقع المتلقي عن طريق تلك المقاصد التي أشار إليها الكثير من القدامى. وبلا شك هذه الحوارية نلمسها بجلاء في "**حديث أم زرع**"، حيث تتفاعل آراء النسوة حول أزواجهن، وبذلك تتنوع وجهات النظر حول موضوع واحد محوره الزوج/الرجل.

ومن ثمّ، فإنّ ما يسترعي انتباهنا في نص الحديث أنّه ينهض على الحوار، وبالأحرى على حوارات متفاعلة داخل الحديث؛ وفضلا عن ذلك، فإنّها متصاعدة

بناء ودلالة. وتجدر الإشارة في هذا الصدد، أنّ سند الحديث مرفوع إلى عائشة رضي الله عنها، ولا يخفى ما لهذا الإسناد من دلالة، فهو من جهة يمنح المروي مصداقية؛ ويتعزز ذلك من جهة ثانية حين يأخذ الحديث صيغة العقد والعهد المتين بين إحدى عشرة امرأة، ومن جهة ثالثة يتمحور ما سبق على الإفصاح والبوح؛ ممّا يعني أنّ هناك مكاشفة للذات؛ حيث يصبح عدم التكتم على أخبار الأزواج من أسمى الغايات والمقاصد، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ القول._"عن عائشة، أنّها قالت: "جلس إحدى عشرة امرأة في الجاهلية"، وفي رواية: "اجتمعن"، وفي أخرى: "جلسن"، و"نسوة" مكان "امرأة"، ووقع في بعض طرق النسائي: "جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن"، وقال بعضهم: "أن يتصادقن ولا يكتمن من أخبار أزواجهنّ شيئا."[13]

وإذا كان الإسناد قد وسم الحديث بالمصداقية، فإنّ أقوال النسوة ستمثل العمود الفقري لهذا النص؛ لاسيّما أنّها وحدات سرديّة متعاقبة تغلب عليها الأفعال، وهنا تكمن فاعليتها؛ إذ تنهض على القول والفعل في وقت واحد. ويتعزز ذلك أيضا من خلال الموضوع الذي تدور عليه. وهكذا، تغدو شخصية الزوج محور التقاطب في الوصف الذي تقدمه المرأة لزوجها سلبا أو ايجابا. وبطبيعة الحال، هذا الوضع يجعل المتلقي أمام أصناف من المتكلمين، حيث يتوفر خطاب كل زوجة بمحتوى محدد، بل باستراتيجية خاصة يؤطرها عقد جماعي بين النسوة، فتصبح العلاقة بين المرسل والمرسل إليه أكثر تفاعلا وتواصلا ممّا يجعل الاستراتيجية الخطابية تبحث لها عن أدوات الاقناع من خلال الوصف الذي ترسم به المرأة صورة زوجها؛ فيغدو التجسيد المعنوي والحسي سبيلا إلى تقليص المسافة بين الشخصيات المتكلّمة/الأنثوية والشخصيات المتكلّم عنها موضوع المكاشفة/الذكوريّة.

وفي هذا السياق نقف على صيغة "قالت" التي تواترت إحدى عشرة مرة على لسان الراوية، وهي في الأساس ذات صلة بالمتن، ونرصدها بالتحديد حين تفسح

عائشة/ الراوية رضي الله عنها المجال للنساء من أجل الإفصاح عن خبر أزواجهنّ، وفضلا عن ذلك هناك صيغة أخرى متقدمة مسندة إلى الراوية نفسها، وقد ارتبطت بالإسناد. ونسجل هنا أنّ هذا الإسناد ينهض من جهة بتأكيد شفوية الرواية، ويقوم من جهة ثانية بتوثيق المتن. "ويقودنا هذا إلى تبيّن فرق آخر أساسي بين الإسناد في الحديث النبوي والإسناد في الخبر الأدبي. فالإسناد في الحديث وسيلة لتحقيق الحديث(Véridiction) أي للبرهنة على أنّه حقيقي قد صدر عن الرسول فعلا. أمّا في الخبر الأدبي فالإسناد وسيلة للمشاكلة(Vraisemblabilisatioon) أي إيهام القارئ أو السامع بأنّ الخبر ممكن الوقوع إن كان مداره على الأحداث، وممكن القول إن كان مداره على الأحاديث."[14] ومن ثم ينجز الإسناد ما أنيط به من وظائف مفصلية ضمن الحديث.

على هذا النّحو يكون الإسناد قد اضطلع بوظيفة تحقيق الحديث، وتصديق مضمونه لأنّه واقع فعلا. ومن هذه الزاوية أنيطت بالنسوة تقديم معلومات حميمية عن أزواجهنّ؛ ولعلّ في ذلك حضورا لعناصر من السيرة الذاتية وإن كان بصورة بسيطة؛ لاسيّما ما تعلق بالبعد الذّاتي في مقول النساء. وهذه السمة تجعلنا أمام نص مفتوح؛ وإن كانت طبيعته وبنيته تموضعه منذ البداية في جنس الحديث، ومع ذلك يظل صوت الأنا مهيمنا من خلال أقوال النساء. ومن ثمّ، يحيل ضمير "أنا" على ذات " تلفظية حقيقية ذات بعد تاريخي...تحكي معاشا شخصيا لا تتغيا تقديمه كحقيقة ذاتية فقط أو كمجال لتجاربها، بل توجهه أيضا، كشأن كل أنا تاريخية، نحو الحقيقة الموضوعية للمحكي...أي ذلك الملفوظ الناطق بالحياة الشخصية من زاوية تعبيرها عن الهوية الذاتية الخاصة. "[15] ومن هذه الزاوية، تتنوع ملفوظات المتكلمات في الحديث انسجاما مع منظور كل واحدة منهنّ إلى زوجها.

لهذا، عندما نعاين ملفوظ كل امرأة نجده يبدأ بلفظ "**زوجي**" وهذا مؤشر على اندغام ضميرين: "**أنا الأنثى**" و "**هو/الزوج**". واللافت في اصطناع كلمة "**زوجي**" هو بروز الذّات الأنثوية بوصفها فاعلة من خلال حضورها كشاهدة على موضوع ذاتي؛ هو تقييم الزوج؛ وبالأحرى كشف الهوية الرجالية، فيصبح الرجل موضع سؤال. وتبعا لذلك، يتم "تشخيص الحالات التي تتكشف فيها صورة الرجل سواء عبر طرح مظاهرها المادية أو من خلال انعكاسه على مستوى العالم النفسي للنساء." [16] وتأسيسا على ذلك تصبح ذات الأنثى عينا حاذقة لرصد أوصاف الأزواج/الرجال؛ وكأنّها بذلك تعلن عن حضورها الفاعل، وإنْ كان الرجل/الزوج هو الذي تصدر مقولها.

2.3 النّسق المضمر وتنوّع صورة الآخر في متن الحديث:

يمكن أنْ نعاين المضمر في الخطاب النسوي من خلال ملفوظات النسوة، التي تجلّي المنظور المتعدد للزوج. من هنا تأتي أهمية تفحص الصور التي رسمت للأزواج.

الصورة الأولى: زوج بخيل وقليل الخير، يشبه لحم جمل غث هزيل، لا نقاء فيه وليس سمينا، ولذلك لا يحمله الناس إلى بيوتهم زهدا فيه، ورغم ذلك فإنّه موجود على ذروة جبل وعر لا يتم الوصول إليه إلاّ بعد عناء ومشقة. ومن ثمّ، فإنّه يجمع بين " بعد خيره إلى سوء خلقه، وترفعه بنفسه تيها."[17] وبلا شك هذه الصفات تجسد الذم في حدوده القصوى.

الصورة الثانية: زوج متعدد النقائص، وكثير منها عيوب باطنية، وفي ذلك تأشير على بعده عن المكارم. وإن كانت المرأة لم تفض في ذكر مساوئ زوجها، فإنّها قد اكتفت بالإجمال سترا لعوراته أو تجنبا لتجديد أحزانها بسبب كثرة عيوب بعلها.

الصـورة الثالثـة: زوج طويـل بـلا فائـدة، لا موقـف لـه، متحـوّل الأطـوار، إذا مـا أفصـحت الزوجـة عمّـا فيـه مـن صـفات يكون مصيرها الطـلاق، وإن صـمتت تصـبح معلّقة.

الصــورة الرابعــة: زوج خـال مـن الأذى والمكـروه، مـأمون ولـيّن الجانـب، حلـو الخصال، وهو أيضا كريم كما لو أنّه غمامة مكتنزة بالغيث.

الصورة الخامسة: زوج ليّن الجانب، موسوم بالدعة والغفلة عمّا صرف من مال في البيت تكرّما منه، وهو في الخارج مقدام لا يهاب أحدا، وقد ينصرف مقول المرأة إلى الذم إذا كان المقصود من كلامها أنّ زوجها ثقيل، كثير النوم، وظالم.

الصـورة السادسـة: زوج بخيـل، شـره، كثيـر الأكـل، منصـرف عـن زوجتـه حـديثا ومضاجعة، سيئ المعاشرة، ولا يهتم بشؤونها.

الصورة السابعة: زوج طافح بالعيوب: شرير، أحمق، خائب، عاجز، لا رجولة له، بذيء الكلام، سبّاب، عنيف، سيئ العشرة والمعاشرة.

الصـورة الثامنـة: زوج كريم الخلق، ليّن الجانب، طيّب الرائحـة، حسن الذكر بين الناس، قويّ وشجاع.

الصـورة التاسـعة: زوج شـريف النسـب، رفيـع المنزلـة، شـامخ الهامـة، حسـن الهيئـة، كريم، بيته مقصد للضيوف، قنوع، حذر، وحازم في الشدائد.

الصورة العاشرة: زوج عظيم، كريم، مستعد للضيفان، شجاع، مقدام في الحروب، وهاد في مسالك المهالك.

الصورة الحادية عشرة: زوج محسن لزوجته، نقلها من الفقر إلى الرفاهية، كثير الخير، عفيف، قليل الأكل والشرب، لا يرد قول الزوجة، شجاع، وشديد المهابة.

4.خاتمة:

وفي غمرة هذا الحوار المتعدد نستشف أنّ النص/الحديث من النصوص البديعة في فن المحاورة الذي يعكس مهارة المرأة في الخطاب، ويكشف قدرتها على ارتجال الكلام البليغ، من تشبيهات ومجاز إيمانا منها على توضيح الفكرة وإكسابها قوة التأثير في نفس المتلقي، ورغبة منها كذلك في التعبير عن الوجدانيات، والمرئيات بصورة تشخيصية محسوسة، متخذة إياها وسيلة لتصوير حياتها، وإبراز نفسيتها، وكشف مشاعرها وجوهر علاقتها مع الآخر بوصفه شريكها في الحياة.

إذن، حديث أم زرع ينـدرج ضـمن الخطـاب المضـمر؛ إذ إنّ هـذا النّـوع مـن الخطاب يعدّ من الاستراتيجيات الأساسية التي يراهن عليها الخطاب الأدبي.

5.المراجع

[1]– القاضي عياض، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، تح: صلاح الدين بن أحمد الإدلبي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1975، صص.1–17.

[2]– رشيد بن حدو، مقدمة جمالية التلقي، هانس روبيرت ياوس، جمالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر: رشيد بن حدو، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1437هـ– 2016م، ص..13

[3]– عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف (دراسة في السرد النسائي)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص. .17

[4]– يوسف وغليسي، خطاب التأنيث – دراسة في الشعر النسوي الجزائري– جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 1434هـ– 2013م، ص.19

[5]– عبد الواسع الحميري، في آفاق الكلام وتكلم النّص، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص.238

[6]– سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص195.

[7]– المرجع نفسه، ص..199

[8]– سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة والسلطة، (نحو ممارسة أدبية جديدة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص.58.

[9]– صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص.218.

[10]– حبيب مونسي، شعرية المشهد في الابداع الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص.42.

[11]– القاضي عياض، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، تح: صلاح الدين بن أحمد الإدلبي وآخرون، ص13.

[12]– المصدر نفسه، ص 36.

[13]– المصدر نفسه، ص.6

[14]– محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، كلية الآداب، منوبة، تونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط.1، 1989، ص310.

[15]– عبد القادر الشاوي، المتكلم في النص، مقالات في السيرة الذاتية، منشورات الموجة، الرباط، المغرب، ط.1، 2003، ص..11

[16]– زهور كرام، السرد النسائي العربي، مقاربة في المفهوم والخطاب، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص.140.

[17]– محمد بن عبد الكريم بن الفضل الرافعي القزويني، درة الضرع لحديث أم زرع، ضبط وتعليق: مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط.1، 1991، ص29.